قال الله تعالى وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب
واطمانانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
فلما قال ههنا وينصرك الله اظهر لفظ الله ليعلم ان بذكر الله يحصل
اطمانان القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر **فصل**
قال انا فتحنا لك ثم قال ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحنا ليغفر
لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها عامة
لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا وان قلنا المراد من المغفرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم العصمة
فلذلك لم يختص به نبينا بل غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة
كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقال يا بني
اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال تعالى
يهدي الله وكذلك النصر قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبي
صلى الله عليه وسلم فعظمه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه
التعظيم من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي
لاجلك على وجه المنة **قوله** هو الذي انزل السكينة في قلوب
المومنين لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر
وذلك ان الله تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها اعداهم
او رجفة يحكم فيها عليهم بالفنا او بجيش يرسله من السما او بصبر
وقوة وثبات قلب يرزق المومنين ليكون لهم بذلك الثواب
الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا للنصر والمراد
بالسكينة قيل السكون وقيل الوقار لله وقيل اليقين قال
اكثر المفسرين هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله ان
ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان يكون هي تلك
لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب
**فصل** قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم الرعب
بلفظ القذف المزعج وقال في حق المومنين انزل السكينة بلفظ الانزال
المثبت وفيه معنى حكمي وهو ان من علم شيا من قبل وتذكره استدام
بذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شي فيقع دفعة فانه
يرجف فواده الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل لا ينزعج منها
فوقعت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر بها واخبر وغفل عنه يرجف
اذا وقعت كذلك الكافر اتاه الله من حيث لم يحتسب وقذف
في قلبه الرعب فارتجف والمومن اوتي من حيث كان يذكر فسكن فلا ينزعج
نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القران فهي طمانينة
الا التي في سورة البقرة **قوله** ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال
ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله
فلما صدقوا زادهم الصلوة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد
حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشي فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديق
وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا
وراعوا عين اليقين الا علموا من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب فازدادوا
ايمانا مستفادا من الغيب مع ايمانهم المستفاد من الشهادة وقيل
ازدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله واحد وان الحشر كاين وامنوا بان

كلما يقول

كلما يقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو صدق وكلما يامر الله تعالى به
واجب وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري فان قيل
ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم
وقال في حق المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فالجواب ان كفر الكافر
عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الوجود كفر عنادي لينضم الى الكفر
الفطري بل الكفر ليس الا عنادا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر
بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة
الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا قال
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم **قوله** ولله جنود السموات فهو قادر على
اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحة ولم يفعل بل انزل السكينة على المومنين
ليكون اهلاك اعدايه بايديهم فيكون لهم الثواب والمراد بجنود
السموات والارض الملايكة وقيل جنود السموات الملايكة وجنود
الارض الجن والحيوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية
وكان الله عليما لما قال ولله جنود السموات والارض وعددهم
غير محصور قال عليما اشارة الى انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وقيل لما ذكر القلوب بقوله انزل السكينة
في قلوب المومنين والايمان الذي من عمل القلوب ذكر العلم اشارة الى انه
يعلم السر واخفى وقوله حكيما بعد قوله عليما اشارة الى انه يفعل على
وفق العلم فان الحكيم من يفعل شيا متقنا ويعلمه **قوله** ليدخل
المومنين في متعلق هذه اللام اربعة اوجه احدها محذوف تقديره
يبتلي بتلك الجنود من شا فيقبل الخير من اهله له والشر من قضى له
ويعذب الثاني انها متعلقة بقوله انا فتحنا لك الثالث انها
متعلقة بينصرك الرابع انها متعلقة بيزدادوا واستشكل هذا بان
قوله ويعذب عطف عليه وازديادهم الايمان ليس مسببا عن تعذيب
الله الكفار واجيب بان اعتقادهم ان الله يعذب الكفار يزيد في
ايمانهم لا محالة وقال ابو حيان والازدياد لا يكون سببا لتعذيب
الكفار واجيب بانه ذكر لكونه مقصودا للمومن كانه قيل بسبب
ازديادكم في الايمان يدخلكم الجنة ويعذب الكفار بايديكم في الدنيا
وفيه نظر لانه كان ينبغي ان يقول لا يكون مسببا عن تعذيب الكفار
وهذا يشبه ما تقدم في قوله ليغفر لك الله واجاب ابن الخطيب بوجهين
اخرين احدهما ويعذب بغيظ ما لكم من الازدياد يقال فعلت لاخبر
به العدو والصديق اي لاعرف بوجوده الصديق ويغتم العدو و
كذا ههنا ليزداد المومن ايمانا فيدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا
فيعذبه وثانيهما ان بسبب زيادة ايمان المومن يكثر صبرهم
وثباتهم ويتعب المنافق والكافر معه ويتعذب ثم ذكر وجوها
اخرى لتعلق اللام منها ان الجار متعلق بقوله حكيما كانه قال دبر
بحكمته ملكك فيستجيب دعاك في الدنيا ويقبل شفاعتك في
العقبى ليدخل المومنين جنات ومنها ان يتعلق بامر مفهوم من
قرينة الحال وهو الامر بالقتال لانه لما ذكر الفتح والنصر علم ان
الله تعالى امر بالقتال فكانه قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل
ويعرف من قرينة الحال ان الله ... ليدخلهم جنات
فان قيل ما الحكمة في انه تعالى لم يذكر في بعض المواضع المومنين والمومنات
وفي بعضها اكتفى بذكر المومنين ودخلت المومنات فيهم كقوله تعالى

Copyright King Saud University